

الموارنة ولبنان ... الميراث والوعي والمشكلات

كمال الصليبي نشر في الحياة يوم 12 - 05 - 2006

ترقى معرفتي بالأباتي بولس نعمان الى اوائل الستينات من القرن الماضي: راهب شاب ممتلئ الجسم، اصغر سناً منّي بقليل، ينبض صحة وعافية وحماسة وثقة بالنفس. قدم ذات يوم لزيارتنا في دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية مع رفاق له، وأخبرونا عن مشروع الرهبنة اللبنانية المارونية لتأسيس ما أصبح عام 1965 جامعة الروح القدس في الكسليك، كما حدثونا ايضاً عن مشاريع لهم للتنقيب عن الآثار المارونية في الموارنة على أسس علمية صحيحة. وكان صدر لي في ذلك الحين كتابي عن المؤرخين الموارنة وتاريخ جبل لبنان في […] تاريخ الموارنة كنيسة وشعباً، فوفّر ذلك المجال لحديث جانبي خاص بيني وبين قدس الأباتي حول الموضوع وأبعاده.

تكررت اللقاءات بيني وبين قدس الأباتي بعد هذا اللقاء الأول، وتوثقت عرى الصداقة والمحبة المتبادلة بيننا مع مرور […] وحتى اليوم، حول أمور كثيرة، سواء في ما يتعلق بالتاريخ أو بغير التاريخ. لعل بعض الاشياء التي كتبتها حول تاريخ الـ[…] الأمر، لأنه رجل صريح جريء لا يجامل، على كونه في الوقت ذاته يتمتع بروح رياضية تجعله يقبل الصراحة من الجانب الآ[…] طلب منّي أن أقول كلمة في مناسبة صدور كتابه الجديد Les Maronites et le Liban، أصرّ عليّ أن انتقد الكتاب وأن […] لاحقاً، إن وجدت ذلك ضرورياً بعد التمعن في كل ما ورد في هذا الكتاب الممتع والغني والمتنوع في مادته.

أما لهذه المناسبة، وبعد قراءة أولى وسريعة للكتاب، فقد اخترت أن أبدي تقديري للفصل منه الذي شغفت به اكثر ما يكون […] الشدياق ضمن اطار الصراع بين الكنيسة المارونية وحركة التبشير البروتستانتي الذي ابتدأ في العقود الاولى من القرن التاس[…] مدرسة عين ورقة الشهيرة، كان من اوائل الموارنة المرموقين الذين التحقوا بالمرسلين البروتستانت آنذاك علناً، مما أثار عـ[…] عليه، وسُجن في زنزانة في دير قنوبين حيث عانى العذاب الى أن توفي عام 1829، وهو لم يزل بعد شاباً في الواحدة والثلا[…] والانكليز إنقاذه من سجنه أو فرض اجراء التحقيق في ظروف وفاته.

لا يعرف أبناء الجيل الجديد من البروتستانت في بلاد المشرق الكثير عن أسعد الشدياق. ولعل بينهم من لم يسمع حتى باسمه، […] القصة لم تكن منسية في الأزمنة التي كان البروتستانت في ديارنا يتناقلونها جيلاً عن جيل كمثال ساطع على ما عاناه الاوائل […] التاسع عشر قام المعلّم بطرس البستاني، المتحول حديثاً عن المارونية الى البروتستانتية وهو من مؤسسي الكنيسة الانجيلية […] سيرة أسعد الشدياق في كرّاس نُشر اكثر من مرة في ذلك القرن. وربما كنت أنا من اواخر البروتستانت الذين قرأوا هذا الكرّاس […] من الكتب القديمة المهملة في بيتنا، فقرأته، واستنتجت أن ما يتحدث عنه هو مسألة حق وباطل. والحق كله الى جانب واحد، و[…] في الموضوع فوجدتهم جميعاً على الرأي نفسه.

بعد ذلك لم أعر الأمر كثيراً من الاهتمام الى ان وجدت نفسي غارقاً، قبل أيام، في قراءة مقال الأباتي بولس نعمان عن البطر[…]

جملة المراجع المشار اليها في رواية الأباتي لهذه القصة. وتفاصيل هذه الرواية لا تختلف عن تلك المألوفة لديّ، سوى ان الـ يوسف حبيش، وليس أسعد الشدياق. ومثل هذا التغيير الاساسي في تقويم الأدوار في القصة يتطلب قدراً من التمارين الذهني التمارين ما يسميه محيي الدين ابن عربي"تصريف الممكنات". و"الممكنات"في هذا الصدد كثيرة، وربما أهمها ما يأتي:

الامكانية الاولى: كان أسعد الشدياق شاباً مارونياً متميزاً، منفتح العقل، وعلى جانب غير عادي من المثالية. التحق بالمرسلي العربية والسريانية، فتأثر بتبشيرهم وجاهر في ذلك، مما أثار غضب أبناء طائفته عليه، وعلى رأسهم البطريرك يوسف حبيش الى أنه يرتزق منهم. لكن أحداً لم يفلح في اقناعه بالرجوع عن موقفه، بحيث قضى شهيداً لمبدأ حرية الضمير ولمثاليته البريئة. الامكانية الثانية: كان أسعد الشدياق شاباً غبياً، ساذجاً، مغترّاً بنفسه، يميل الى الهوس. فاستغل المرسلون البروتستانت نقاط الـ ليخلقوا مواجهة بينهم وبين الكنيسة المارونية التي كانوا يعتبرونها أكبر عثرة في طريقهم. أو إن الشدياق كان صاحب المب اصدقاؤه المرسلون على المضي فيها حتى النهاية. وحال غروره، أو هوسه، أو غباؤه، أو الصفات الثلاث مجتمعة، دون تر المصير المحتوم، فانتهى أمره الى ما انتهى اليه. فيما اتخذ المرسلون البروتستانت من قضيته ذريعة للتشهير بالبطريرك يوس من القضية الى حين ما يشبه القضية الدولية.

الامكانية الثالثة: وفد اوائل المرسلين البروتستانت الى ديارنا بعد نهاية الحروب النابوليونية في اوروبا عام 1815 بفترة الحروب منهوكة القوى وضعيفة الشأن الى ان تعافت لاحقاً. فبقيت الى حين غير قادرة على الاستمرار في دورها التقليدي في الملمات. وهذا ما يشدد عليه الأباتي نعمان في مقاله، وعن حق. والامبراطورية النمسوية من ناحيتها، كدولة كاثوليكية كبرى في حماية الموارنة الا ضمن حدود تمليها عليها علاقاتها الدولية، وبخاصة علاقاتها مع بريطانيا البروتستانتية. ولا بد من أن الـ من وصول اوائل المبشرين البروتستانت الى ظهرانيهم في تلك الظروف، فأجمعوا على الاسراع في التصدي لنشاطهم قبل ا احتواؤهم. وجاء اسعد الشدياق بمثاليته أو بغبائه، ومن دون تقدير للعواقب، يوفر للكنيسة المارونية الفرصة المناسبة للتحرك فحل به ما حل.

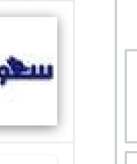
هذه ثلاثة من"الممكنات"بحسب تعبير ابن عربي في ما يتعلق بقضية أسعد الشدياق التي شغلت الاطراف المحلية والدولية تقريباً. وقد تنجلي الحقيقة التاريخية في شأن هذه القضية اكثر فأكثر من طريق"تصريف"هذه الممكنات وغيرها بالنظر ملياً ضمن اطارها التاريخي الاوسع فالأوسع.

يبقى، أخيراً، ان هذه الامكانات"الممكنات"في قضية أسعد الشدياق لا تتنافى الواحدة منها مع الاخرى الى الحد الذي نتصور. أن يكون حكيماً، بل غالباً ما يكون ساذجاً أو غبياً أو مهووساً. وفي مثل هذه الحال، قد يقصد المثالي أن يأتي بني قومه بالخير، مما قد يستوجب استخدام القساوة في ردعه عما يفعل اذا لم ينفع معه اللين. على كون القساوة بحد ذاتها شيء غير جيد او م بيت القصيد.

تربيت ونشأت على مفهوم معين لقصة اسعد الشدياق. وهو مفهوم لم أتعمق في درسه في أي وقت. اما اليوم فأنا استفيد وأغتـ بمعلومات لم يسبق لي ان عرفتها من قبل. وقد بدا لي هذا المفهوم الآخر مقنعاً من الناحية التاريخية الاشمل اكثر بكثير من المـ الكبير للمقال الذي وضعه الأباتي نعمان في هذا الموضوع. أستثني منه فقط بضع نقاط ثانوية لي آراء فيها تختلف بعض الشـ الأهم الذي سيظل يجمعني دائماً مع صديقي الأباتي هو امكان الاختلاف والصداقة في آن. والى مثل هذا الامكان ترتكز الحضارة مؤرخ لبناني

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.

التعليقات: 0



مواضيع ذات صلة

- نصارى القدس ... من النشأة حتى نهاية القرن التاسع عشر
- الشدياق والنهضة العربية الحديثة 1804 - 1887
- كتاب جماعي بالفرنسية عن معهد العالم العربي . "وجوه" لبنانية اعتباطية لم تنج من "الفولكلور" الطائفي
- رحلة في رحاب القانون والأدب للقاضي انطوان الشدياق
- القس المجري بال نيمت درس في كلية الشريعة بدمشق "ترجمة أعمال الغزالي عمل شاق لكنني أحب ذلك"